

معاني الكلمات :

المتكلمين : المتصنعين .

ذكر : عظة وعبرة .

أولياء : شركاء .

زلفى : تقريبا إلى الله .

كفار : مبالغ في كفره .

يكور الليل على النهار : يلفه على النهار .

ويكور النهار على الليل : يلفه على الليل .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ - أن نعلم أن المعركة بين الشيطان وبين آدم وذريته قائمة والعاقبة في وعد الله واضحة .

٢ - أن نؤمن أن القرآن الكريم منزل من عند الله الذي أنزله بحكمة وتدبير .

٣ - أن نتعلم كيفية التدبر في خلق السموات والأرض ، وظاهرة الليل والنهار وتسخير

الشمس والقمر .

المحتوى التربوي :

يعلن سبحانه إرادته ، ويحدد منهجه ، فالله عز وجل هو الحق ، وقوله الحق ، ويقسم الله عز وجل أن يملأ جهنم من المتبوعين والتابعين أجمعين لا يترك منهم أحداً ، ولما بين الرسول للناس الدليل ووضح لهم السبيل ، قال الله له : قل ما أسألكم على القرآن أو الوحي أو الإنذار من أجر ، ما أسألكم على هذا البلاغ وهذا النصح أجراً تعطونه من عرض الحياة الدنيا حتى تظنوا بي الظنون ، وما أنا من الذين يتصنعون ويتحلون بيا ليسوا من أهله ، وما عرفتموني قط متصنعا ولا مدعيا بما ليس عندي ، حتى أنتحل النبوة ، وأتقول القرآن ، وأمره أن يلفت نظرهم إلى خصائصه الذاتية التي تدل - وحدها - على أنه لا يمكن أن يكون إلا رسولا صادقا لله ، ثم أمره أن يلفت نظرهم إلى خصائص القرآن ، فما القرآن إلا ذكر من الله للثقلين أوحى إلى فانا أبلغه

ولتعلّمَن خبر القرآن وما فيه من الوعيد خصائص القرآن ؛ فما القرآن إلا ذكر من الله للثقلين أوحى إلى ، فأنا أبلغه ، ولتعلمن خبر القرآن وما فيه من الوعد والوعيد ، وذكر البعث والنشور بعد الموت أو يوم القيامة .

قال صاحب الظلال : « إنها الدعوة الخالصة للنجاة التي لا يطلب صاحبها أجراً وهو الداعية السليم ، الذي ينطق بلسانه ، لا يتكلف ولا يتصنع ، ولا يأمر إلا بما يوحى منطلق الفطرة القريب ، وإنه للتذكير للعالمين أجمعين فقد ينسون ويغفلون ، وإنه للنبا العظيم الذي لا يلحقون بهم إلى اليوم ، وليعلمن نبأه بعد حين ، نبأه في الأرض - وقد علموه بعد سنوات من هذا القول - ونبأه في اليوم المعلوم ، عندما يحق وعد الله اليقين : ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ .

### سورة الزمر

هذه السورة تكاد تكون مقصورة على علاج قضية التوحيد ، وهي تطوف بالقلب البشري في جولات متعاقبة ، وتوقع على أوتاره إيقاعات متلاحقة ، وتزهزأ عميقاً متواصلًا لتطبع فيه حقيقة التوحيد وتمكنها ، وتنفي عنه كل شبهة ، وكل ظل يشوب هذه الحقيقة .

جاءت مقدمة السورة لتقرر أن منزل القرآن الذي لا ريب فيه هو الله العزيز الحكيم ، وفي ذكر اسم الله العزيز في هذه المقدمة بيان أن الله لم ينزل كتابه ذلك ، وأن ما فيه من تكليف إنما هو تكليف عزيز في سلطانه ، وفي ذلك إشعار إلى أنه سيحاسب ويعاقب لمن خالف كتابه ، فذلك شأن العزيز ، وفي ذكر اسم الله الحكيم في هذه المقدمة إشعار بأن كتابة حكيم ، فالحكيم يصدر عنه ما هو حكيم ، وقد أنزله عز وجل بسبب إثبات الحق وإظهاره وتفصيله ، ونزل مشتملاً على الحق هداية الخلق على أشرف الخلق ، عظمت فيه النعمة وجلت ، ووجب القيام بشكرها ، وذلك بإخلاص الدين لله ، جميع الدين من الشرائع الظاهرة والسرائع الباطنة : الإسلام والإيمان والإحسان ، بأن تفرّد الله وحده بها ، وتقصد به وجهه لا غير ذلك من المقاصد .

ثم يبين السياق أنه تعالى كما أنه له الكمال كله ، وله التفضل على عباده من جميع الوجوه ، فكذلك له الدين الخالص الصافي من جميع الشوائب ، فهو الدين الذي ارتضاه لنفسه ، وارتضاه لصفوة خلقه وأمرهم به ؛ لأنه متضمن للتأله لله في حبه وخوفه ورجائه ، وللإنابة إليه في عبوديته ، والإنابة إليه في تحصيل مطالب عباده ، والله لا يقبل من العمل إلا ما أخلص فيه العامل لله وحده لا شريك له ، فلذلك أمر بالتوحيد والإخلاص ، ونهى عن الشرك به ، وأخبر بدم من أشرك به ، والذين اتخذوا من دون الله آلهة فإنهم يقولون : ما نعبدهم إلا ليشفعوا لهم عند الله تعالى في نصرهم ورزقهم ، وما ينوبهم من أمور الدنيا ، أما الآخرة فكانوا جاحدين لها كافرين بها .

والحكمة في كون الشرك لا يغفره الله تعالى ؛ لأنه يتضمن القدح في الله تعالى ، والله يحكم بين المخلصين من عباده ، والمشركين في الذي كانوا يختلفون فيه ، فالمشركون ينازعون ويفلسفون ،

ويجادلون ويدعون ويبررون ، وسيجزي الله كل عامل بعمله ، وهو سبحانه ما يرشد إلى الهداية من قصد الكذب والافتراء على الله تعالى ، وقلبه كافر بآياته وحججه وبراهينه ، فإذا اجتمعت صفة الكذب والكفران في إنسان فإن الله لا يلهمه الهداية ، فليحذر امرؤ من صفتي الكذب ، والكفران ، ولو جاز اتخاذ الولد على ما تظنون لاختار مما يخلق ما يشاء ، لا ما تختارون أنتم وتشاؤون .

وقد أشعرتنا الآية أن بعضا ممن عبدوا مع الله غيره ليتقربوا - في زعمهم - إليه ، عبدوهم بعد أن خلعوا عليهم صفات النبوة لله عز وجل ؛ كبعض العرب إذ قالوا : الملائكة بنات الله ، والنصارى الذين قالوا : المسيح ابن الله ، واليهود الذين قالوا : عزيز بن الله ، وقد رد الله هذا القول وفنده ، ثم نزه ذاته تعالى وتقدس وتنزهه عن أن يكون له ولد ، فهو الواحد الأحد الفرد الصمد ، الذى كل شئ عبد لديه ، فقير إليه ، وهو الغنى عمّا سواه ، الذى قد قهر الأشياء ، فدانت له وذلت وخضعت ، وإذا كان كذلك فقد كذب من نسب إليه الشريك والولد .

وتأتى اللفتة إلى ملكوت السموات والأرض ، وإلى ظاهرة الليل والنهار ، وإلى تسخير الشمس والقمر ، فتوحى إلى الفطرة بحقيقة الألوهية التى لا يليق معها أن يكون هناك ولد ولا شريك ، فالذى يخلق هذا الخلق وينشئه إنشاء ، لا يحتاج إلى الولد ولا يكون معه شريك .

يقول صاحب الظلال : « وآية الوجدانية ظاهرة في طريقة خلق السموات والأرض ، وفي الناموس الذى يحكم الكون ، والنظر المجرد إلى السموات والأرض يوحى بوحدة الإرادة الخالقة المدبرة ، وما كشفه الإنسان - حتى اليوم - من دلائل الوحدة فيه الكفاية .... وفي كل يوم يكشف الإنسان عن جديد من دلائل الوحدة في تصميم هذا الوجود ، ويكشف عن حق ثابت في هذا التصميم لا يتقلب مع هوى ، ولا ينحرف مع ميل ، ولا يتخلف لحظة ولا يجيد ... ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ﴾ وأنزل الكتاب بالحق ، فهو الحق الواحد في ذلك الكون وفي هذا الكتاب ، وكلاهما صادر من مصدر واحد ، وكلاهما آية على وحدة المبدع العزيز الحكيم » .

وسخر الليل والنهار يجريان متعاقبين لا يفتران ، كل منهما يطلب الآخر طلبا حثيثاً ، وفي هذا إشارة واضحة إلى كروية الأرض ؛ إذ التكوير لا يكون إلا للشئ الدائرى ، فالتكوير : اللى واللف ، وسخر الله الشمس والقمر كل يجرى في مداره وهما مسخران بأمر الله ، وستجرى الشمس وسيجرى القمر لأجل علم انتهائه عند الله وحده ، ومع القوة والقدرة والعزة الإلهية ، فالله عز وجل غفار لمن يتوب إليه ممن يكذبون عليه ويكفرون به .

ما ترشدنا إليه الآيات تربيوتاً :

١ - المسلم يتصف بمحاسن الأخلاق ، ولا يتكلف ما ليس فيه .

٢ - إن الله تعالى لا يقبل إلا ما كان خالصاً لوجهه الكريم .

٣ - لا وساطة في الإسلام بين العباد وربهم .



عنصر البشرية ، وذلك في ظلمات ثلاث : ظلمة الكيس الذي يغلف الجنين ، وظلمة الرحم الذي يستقر فيه هذا الكيس ، وظلمة البطن الذي يستقر فيه الرحم ، ويد الله تخلق هذه الخلية الصغيرة خلقاً من بعد خلق ، وعين الله ترعى هذه الخلية وتودعها القدرة على النمو ، والقدرة على التطور ، والقدرة على الارتقاء ، والقدرة على السير في تمثيل خطوات النفس البشرية كما قدر لها بارئها .

وتتبع هذه الرحلة القصيرة الزمن البعيدة الآماد ، وتأمل هذه التغيرات والأطوار ، وتدبر تلك الخصائص العجيبة التي تقود خطأ هذه الخلية الضعيفة في رحلتها العجيبة ... في تلك الظلمات وراء علم الإنسان وقدرته وبصره « هذا كله من شأنه أن يقود القلب البشري إلى رؤية يد الخالق المبدع ، رؤيتها بآثارها الحية الواضحة الشاخصة ، والإيمان بالوحدانية الظاهرة الأثر في طريقة الخلق والنشأة ، فكيف يصرف قلب عن رؤية هذه الحقيقة؟

وأمام هذه الرؤية الواضحة لآية الوجدانية المطلقة ، وآية القدرة الكاملة ، يقفهم أمام أنفسهم ، في مفرق الطريق بين الكفر والشكر ، وأمام التبعة الفردية المباشرة في اختيار الطريق ، ويلوح لهم بنهاية الرحلة ، وما ينتظرهم هناك من حساب ، يتولاه الذي يخلقهم في ظلمات ثلاث ، والذي يعلم ما تكن صدورهم من خفايا الصدور ، وهذه الرحلة في بطون الأمهات هي مرحلة في الطريق الطويل ، تليها مرحلة الحياة خارج البطون ، ثم تعقبها المرحلة الأخيرة مرحلة الحساب والجزاء بتدبير المبدع العليم الخبير .

والله - سبحانه - غنى عن العباد الضعاف المهازيل ، إنها هي رحمته وفضله أن يشملهم بعنايته ورعايته ، وهم من هم من الضعف والهزال ؛ فإيمانكم لا يزيد في ملكه شيئاً ، وكفركم لا ينقص منه شيئاً ، ولكنه لا يرضى عن كفر الكافرين ولا يحب ، ويعجبه الإيمان منكم ويحب لكم ويميزكم عليه خيراً ، وكل فرد مأخوذ بعمله ، محاسب على كسبه ، ولا يحمل أحد عبء أحد ، فلكل حملة وعبؤه ، والمرجع في النهاية إلى الله دون سواه ، ولا مهرب منه ولا ملجأ عند غيره ، ولا يخفى عليه من أمركم شيء ، وهذه هي العاقبة ، وتلك هي دلائل الهدى ، وهذا هو مفرق الطريق ، ولكل أن يختار عن بينة وعن تدبر وبعد العلم والتفكير .

وبعد أن عرض السياق قصة وجودهم وخلقهم من نفس واحدة ، وتزويجها من جنسها ، يلمس القلوب لمسة أخرى وهو يعرض عليهم صورتهم في الضراء وصورتهم في السراء ، ويربهم تقلبهم وضعفهم وادعاءهم وقلة ثباتهم على نهج إلا حين يتصلون بربهم ويتطلعون إليه ، ويقتنون له ، فيعرفون الطريق ، ويعلمون الحقيقة ، ويتفتنون بها وهبهم الله من خصائص الإنسان .

فيخبر تعالى عن كرمه بعبده وإحسانه وبره ، وقلة شكر عبده ، وأنه حين يمسه الضر ؛ من مرض أو فقر أو وقوع في كربة ، أنه يعلم أنه لا ينجيه في هذا الحال إلا الله ، فيدعوه متضرعاً منيباً ، ويستغيث به في كشف ما نزل به ويلجأ في ذلك ، وحين يذهب الضر ويأتي الرخاء ، ويعطيه الله نعمة منه ، ويرفع عنه البلاء ، نسي هذا العبد ربه الذي كان يتضرع إليه ، ونسى الضر الذي كان

يدعو الله إلى كشفه ، وأشرك بالله وجعل له أنداداً ، وسبيل الله واحد لا يتعدد ، وإفراجه بالعبادة والتوجه والحب هو وحده الطريق إليه .

يقول صاحب الظلال : « والعقيدة في الله لا تتحمل شركة في القلب ؛ لا تتحمل شركة من مال ولا ولد ولا وطن ولا أرض ولا صديق ولا قريب ، فأياها شركة قامت في القلب من هذا وأمثاله فهي اتخذ أنداد الله ، وضلال عن سبيل الله ، منته إلى النار بعد قليل من المتاع في هذه الأرض : ﴿ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴾ ، وكل متاع في هذه الأرض قليل ، حين يقاس إلى أيام الله » .

أقامت هذه الآية الحجة على الكفار بأنهم جاحدون لنعم الله العامة والخاصة ، فالطبيعة الكافرة طبيعة جحود على خلاف الطبيعة المؤمنة ، ومن ثم تأتي الآية اللاحقة لتبين الفارق البعيد بين موقف الكافر وموقف المؤمن ، فهذه مقابلة بين العامل بطاعة الله وغيره ، وبين العالم والجاهل ، وأن هذا من الأمور التي تقرر في العقول تبيانها ، وعلم علما يقينا تفاوتها ، فليس المعرض عن طاعة ربه ، المتبع لهواه ، كمن هو قانت مطيع لله بأفضل العبادات وهي الصلاة ، وأفضل الأوقات وهي أوقات الليل فوصفه بكثرة العمل وأفضله ، ثم وصفه بالخوف والرجاء ، وذكر أن متعلق الخوف عذاب الآخرة ، على ما سلف من الذنوب وأن متعلق الرجاء رحمة الله ، فوصفه بالعمل الظاهر والباطن ، فهل يستوى هذا والذي قبله ممن جعل الله أنداداً ليضل عن سبيله ، وأي علم لمن يجهل ربه ، وما يتعظ بوعظ الله أولو العقول .

يقول صاحب الظلال : « وهذا هو الطريق إلى العلم الحقيقي والمعرفة المستنيرة ، هذا هو .. القنوت لله وحساسية القلب ، واستشعار الحذر من الآخرة ، والتطلع إلى رحمة الله وفضله ، ومراقبة الله هذه المراقبة الواجفة الخاشعة ... هذا هو الطريق » .

وبعد عرض هاتين الصورتين يتجه إلى الذين آمنوا يناديهم أمراً لهم بأفضل الأوامر ، وهي التقوى ، ذاكراً لهم السبب الموجب للتقوى ، وهو ربوبية الله لهم وإنعامه عليهم ، المقتضى ذلك منهم أن يتقوه ، وذكر لهم الثواب المنشط في الدنيا ، فالمحسنون لهم حسنة في الدنيا تقابلها حسنة في الآخرة ، ولا عذر للمفترطين في الإحسان ، فإن اعتلوا بأنهم لا يتمكنون في أوطانهم من التوفر على الإحسان ، قيل لهم : إن أرض الله واسعة ، وبلاده كثيرة ، فتحولوا إلى بلاد آخر ، ومن ثم يشير إلى الصبر ، وجزائه لا يوزن لهم ولا يكال إنما يغرف لهم غرفاً .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :

١- كل إنسان مسؤول عن نفسه مسؤولية مباشرة في اختيار طريق الكفر أو طريق الشكر .

٢- المؤمن شاكر في السراء صابر الضراء .

٣- فضل العالم على الجاهل لعمله بعلمه .

معاني الكلمات :

ظلل من النار: طبقات بعضها فوق بعض .

اجتنبوا الطاغوت : ابتعدوا عن الأوثان .

أنابوا : رجعوا .

حق : وجب .

فسلكه يتابع : فأدخله في العيون

والمجارى المائية .

يهيج : ييبس ويحف .

حطاما : فتاتا وهشيا .

ذكرى : عظة وعبرة .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١- أن نتعرف على بعض أهوال الآخرة وعذاب النار فيها .

٢- أن نعلم أهل البشري ، وما أعده الله تعالى لأهل التقوى .

٣- أن نؤمن بوحدانية الله وقدرته من خلال التأمل في حياة النبات .

المحتوى التربوي :

يبدأ السياق بتوجيه الرسول ﷺ إلى إعلان كلمة التوحيد الخالصة ، وإعلان خوفه وهو النبي المرسل من عاقبة الانحراف عنها ، وإعلان تصميمه على منهجه وطريقه ، وتركهم هم إلى منهجهم وطريقهم ، وبيان عاقبة هذا الطريق وذلك يكون يوم الحساب .

فيعلن النبي ﷺ أنه مأمور أن يعبد الله وحده ، ويخلص له الدين وحده ، وأن يكون بهذا أول المسلمين ، وأنه يخاف عذاب يوم عظيم إن هو عصى ربه ، وهذا الإعلان ذو قيمة كبرى في تجريد عقيدة التوحيد كما جاء بها الإسلام ، فالنبي ﷺ في هذا المقام هو عبد الله ، هذا مقامه لا يتعداه ، وفي مقام العبادة يقف العبيد كلهم صفا ، وترتفع ذات الله سبحانه متفردة فوق جميع العباد ، وهذا هو المراد .

وعند ذلك يقر معنى الألوهية ، ومعنى العبودية ، ويتميزان فلا يختلطان ولا يشتهان ، وتتجرد صفة الوجدانية لله سبحانه بلا شريك ولا شبيه ، وحين يقف محمد رسول الله ﷺ في مقام العبودية لله وحده يعلن هذا الإعلان ، ويخاف هذا الخوف من العصيان .

ومرة أخرى يكرر الإعلان مع الإصرار على الطريق ، وترك المشركين لطريقهم ونهايته الأليمة ، مرة أخرى يعلن : إننى ماض فى طريقى ، أخص الله بالعبادة ، وأخلص له الدينونة ، فأما أنتم فامضوا فى الطريق التى تريدون ، واعبدوا ما شئتم من دونه ، ولكن هنالك الخسران الذى ما بعده خسران ، خسران النفس التى تنتهى إلى جهنم ، وخسران الأهل سواء كانوا مؤمنين أم كافرين ، فإن كانوا مؤمنين فقد خسرهم المشركون ؛ لأن هؤلاء إلى طريق وهؤلاء إلى طريق، وإن كانوا مشركين مثلهم فكلهم خسر نفسه بالجحيم، واستبدلوا بالجنة ناراً ، وبالدرجات دركات ؛ وهذا الخسران ليس مثله خسران، وهو خسران مستمر ، لا يريح بعده ، بل ولا سلامة .

يقول الفخر الرازى - رحمه الله : «إن كلمة هو فى قوله : ﴿هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ تفيد الحصر ، كأنه قيل : كل خسران فإنه يصير فى مقابلته كلا خسران ، ووصفه بكونه مبيناً يدل على التهويل...، وإن من أعطاه الله الحياة والعقل والتمكن ، ثم إنه لم يستفد منها لا معرفة الحق ولا عمل الخير البتة كان محروماً عن الربح بالكلية، وإذا مات فقد ضاع رأس المال بالكلية فكان ذلك خسرانا ، فهذا بيان كونه خسرانا...، وأما بيان كون ذلك الخسران مبيناً، فهو أن من لم يربح الزيادة ولكنه مع ذلك سلم من الآفات والمضار، فهذا كما لم يحصل له مزيد نفع لم يحصل له أيضاً مزيد ضرر، أما هؤلاء الكفار فقد استعملوا عقولهم التى هى رأس مالهم فى استخراج وجوه الشبهات، وتقوية الجهالات والضلالات ، واستعملوا قواهم وقدرهم فى أفعال الشر والباطل والفساد ، فهم قد جمعوا بين أمور فى غاية الرداءة . أولها : أنهم أتبعوا أبدانهم وعقولهم طلباً فى تلك العقائد الباطلة والأعمال الفاسدة ، وثانيها : أنهم عند الموت يضيع عنهم رأس المال من غير فائدة . وثالثها : إن تلك المتاعب الشديدة التى كانت موجودة فى الدنيا فى نصرة تلك الضلالات تصير أسباباً للعقوبة الشديدة والبلاء العظيم بعد الموت ، وعند الوقوف على هذه المعانى يظهر أنه لا يعقل خسران أقوى من خسرانهم ، ولا حرمان أعظم من حرمانهم ، ونعوذ بالله منه .»

ثم يعرض مشهد الخسران المبين ، وهو مشهد رعيب حقا ، مشهد النار فى هيئة أطباق من فوقهم وأطباق من تحتهم ، وهى محيطه بهم ، فهو مشهد رهيب يعرضه الله لعباده وهم مازالوا فى الأرض يملكون أن ينأوا بأنفسهم عن طريقه ، ويخوفهم مغبته لعلمهم يجتنبونه ، ويناديهم ليحذروا ويتقوا ويسلموا . وعلى الضفة الأخرى يقف الناجون ، الذين خافوا هذا المصير المشؤوم ، واجتنبوا عبادة الشياطين ، فهم اجتنبوا عبادة غير المعبود فى أية صورة من صور العبادة ، وهم الذين أنابوا إلى ربهم ، وعادوا إليه ، ووقفوا فى مقام العبودية له وحده ، هؤلاء لهم البشرى صادرة إليهم من الملائكة الأعلى ، والرسول ﷺ يبلغها لهم بأمر الله ، إنها البشرى العلوية يحملها إليهم رسول كريم ، وهذا وحده نعيم .

هؤلاء من صفاتهم أنهم يستمعون ما يستمعون من القول ، فلتلقط قلوبهم أحسنه وتطرد ما عداه ، فلا يلحق بها ولا يلصق إلا الكلم الطيب الذي تزكو به النفوس والقلوب ، وقد علم الله في نفوسهم خيراً فهداهم إلى استماع أحسن القول والاستجابة له ، والهدى هدى الله ، وأولئك هم أصحاب العقول والفطر المستقيمة .

قال النسفي رحمه الله : « أراد أن يكونوا نقادا في الدين يميزون بين الحسن والأحسن ، والفاضل والأفضل ، فإذا اعترضهم أمران واجب وندب ، اختاروا الواجب ، وكذا المباح والندب ، حرصا على ما هو أقرب عند الله ، وأكثر ثوابا ، أو يستمعون القرآن وغيره فيتبعون القرآن أو يستمعون أوامر الله فيتبعون أحسنها ، نحو : القصاص والعفو ونحو ذلك ، أو يستمعون الحديث مع القوم فيه محاسن ومساوئ فيحدث بأحسن ما سمع ، ويكف عما سواه .

وقيل أن يعرض السياق مشهد هؤلاء في نعيمهم في الآخرة يقرر أن عبدة الطاغوت قد وصلوا فعلا إلى النار ، وأن أحد لا يملك أن ينقذهم من النار ، والخطاب لرسول الله ﷺ فإذا كان لا يملك هو إنقاذهم من النار التي هم فيها فمن يملكها إذن سواه؟! ويخبر سبحانه عن عبادة السعداء وما أعد لهم ، فلهم منازل في الجنة رفيعة ، وفوقها منازل أرفع ، فللكفار ظلم من النار وللمتقين غرف طباق فوق طباق مبنيات محكمات مزخرفات عاليات ، تسلك الأنهار خلال ذلك كما يشاؤون وأين أرادوا ، وهذا وعد الله وهو كائن لا محالة .

ويلتفت السياق إلى حياة النبات في الأرض عقب إنزال الماء من السماء وانتهائها إلى غايتها القريبة ، وهذه الظاهرة يوجه إليها القرآن الأنظار للتأمل والتدبر ، فأصل الماء في الأرض من السماء ، فإذا أنزل الماء من السماء كمن في الأرض ، ثم يصرفه تعالى في أجزاء الأرض كما يشاء وينبعه عيون ما بين صغار وكبار ، بحسب الحاجة إليها ، فليس في الأرض ماء إلا نزل من السماء ولكن عروق في الأرض تغيره ؛ ثم يخرج بالماء زراعا مختلفا هيئاته من خضرة وحمرة وصفرة وبياض ، وأصنافه من بر وشعير وسمسم وغير ذلك ، ثم يجف فتراه مصفرا قد خالطه اليبس ثم يجعله فتاتا متكسرا ، وفي هذا عبرة لأصحاب العقول أن الدنيا تكون هكذا والإنسان صائر إلى الموت ، فالسعيد من كان حاله بعده إلى خير .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

- ١ - النبي مثل عباد الله يخاف عذابه ويرجو رحمته مع أنه نبي ورسول .
- ٢ - الخاسرون الحقيقيون هم الذين خسروا أنفسهم بتعريضها لدخول جهنم وخسروا أهلهم .
- ٣ - من صفات المؤمنين المتقين أنهم يستمعون القول فلا يتمسكون إلا بأحسن شيء .
- ٤ - آيات الله - تعالى - مبثوثة في الكون ، وعلى المسلم تدبرها .

## معاني الكلمات :

فويل : فهلاك .

كتابا متشابها : قرآنا يشبه بعضه بعضا .

تقشعر : تضطرب .

تلين جلودهم : تطمئن وتسكن .

يتقى بوجهه : يعرض نفسه .

غير ذى عوج : لا اختلاف فيه ولا خطأ .

متشاكسون : متنازعون مختلفون .

سليما : خالصا .



## الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ - أن نعرف عاقبة من يستجيبون لذكر الله وعاقبة من غلظت قلوبهم وتحجرت .

٢ - أن نعلم بعض خصائص كتاب رب العالمين .

٣ - أن نتعلم حقيقة التوحيد وحقيقة الشرك .

## المحتوى التربوي :

يذكر السياق أن الله يشرح للإسلام قلوبا يعلم منها الخير ، ويصلها بنوره فتشرق به وتستضيء ، والفرق بين هذه القلوب ، وقلوب أخرى قاسية فرق بعيد ، فهل يستوى من وسع الله صدره للإسلام فاهتدى فهو على بيان وبصيرة كمن طبع على قلبه فقسا قلبه فبعد عن الحق ، فويل للقاسية قلوبهم فلا تلين عند ذكر الله ولا تخشع ولا تعي ولا تفهم ، فأولئك في غواية ظاهرة وضلال بعيد .

قال صاحب الظلال : « وهذه الآية تصور حقيقة القلوب التي تتلقى الإسلام فتشرح له وتندى به ، وتصور حالها مع الله ، حال الانشراح والتفتح والنداوة والبشاشة والإشراق والاستنارة، كما تصور حقيقة القلوب في قساوتها وغلظتها وموتها وجفافها ، وعمتها وظلامها ، ومن يشرح الله صدره للإسلام ، ويمد له من نوره ، ليس قطعاً كالقاسية قلوبهم من ذكر الله ، وشتان شتان بين هؤلاء وهؤلاء .

ويقول صاحب الأساس عن الآية التالية : أنها ذكرت « أربع خصائص لهذا القرآن ، كلها تشهد أنه كتاب رب العالمين .

أ - ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ ﴾ فالقرآن أحسن الحديث ، فكلمته أحسن الكلم ، ومعانيه أحسن المعاني .... فالكلمة القرآنية في محلها لا يمكن أن يكون غيرها أحسن منها ، ولا يمكن أن يحل غيرها محلها ، وهذا وحده معجزة ، فكيف إذا اجتمع مع ذلك حسن المعنى ، وحسن الجرس ، وحسن الأسلوب ، وأنواع أخرى من الحسن لا يحاط بها !!

ب - ﴿ كِتَابًا مُتَشَبِهًا ﴾ فهو يشبه بعضه بعضا في الصدق والبيان ، والوعظ ، والحكمة ، والإعجاز والإخبار ، والتذكير والتبشير والإنذار ، فكل جزء منه تظهر فيه خصائص القرآن كله مع تعدد المواضيع وكثرتها وتنوعها ، وهذا وحده معجز ، وإلا فأى كتاب في العالم يتحدث عن الإبداع بنفس الأسلوب الذى يتحدث فيه عن قضايا الإرث .

ج - ﴿ مَثَانِي ﴾ جمع مثنى بمعنى : مردد ومكرر ، لما ثنى من قصصه وأنبائه وأحكامه ، وأوامره ومعانيه ونواحيه ، ووعده ووعيده ، ومواعظه ، وقد رأينا في هذا التفسير كيف أن بعض المعاني ثنى مرات ومرات ، وفي كل مرة تجد أسلوبا جديداً وروحا جديدة ، وعرضا جديداً بشكل عجيب مدهش ، غير مستطاع للبشر ، وهذه وحده مظهر من مظاهر الإعجاز في هذا القرآن يدل على أنه من عند الله .

د - ﴿ تَقْشَعُرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ إن التأثير الذى يحدثه القرآن في القلوب المؤمنة المخيبة شىء عجيب ، وقد وصفته الآية هنا ، ووصفته آيات كثيرة في القرآن ، إن مثل هذا التأثير لا يمكن أن يكون على مثل هذه الشاكلة ، لولا أنه من عند الله ، .. « .

فالذين يخشون ربهم ويتقون ، ويعيشون في حذر وخشية ، وفي تطلع ورجاء ، يتلقون هذا الذكر في وجل وارتعاش ، وفي تأثر شديد تقشعر منه الجلود ثم تهدأ نفوسهم وتأنس قلوبهم بهذا الذكر ، فتلين جلودهم وقلوبهم وتطمئن إلى ذكر الله ، وهى صورة حية حساسة ترسمها الكلمات فتكاد تشخص فيها الحركات ، فما ترتعش القلوب هكذا إلا حين تحركها أصبع الرحمن إلى الهدى والاستجابة والإشراق ، والله يعلم من حقيقة القلوب ما يجازيها عليه بالهدى أو بالضلال ، فهو يضلها بما يعلمه من حقيقته المستقرة على الضلال التى لا تقبل الهدى ولا تجنح إليه ، بحال .

ثم يعرض ما ينتظر أهل الضلال يوم القيامة في مشهد بائس في موعد حصاد الأعمال ، والإنسان يقى وجهه عادة بيديه وجسمه ، فأما هنا فهو لا يملك أن يدفع عن نفسه النار بيديه ولا برجليه ، فيدفعها بوجهه ، ويتقى به سوء العذاب ، مما يدل على الهول والشدة والاضطراب ، وفي زحمة هذا العذاب يتلقى التأنيب ، وتدفع إليه حصيلة حياته ، ويألها من حصيلة ، تقول لهم خزنة النار تقرعاً وتوبيخاً : ذوقوا وبال كسبكم .

ويلتفت السياق إلى الحديث عن المكذبين الذين يواجهون محمداً ﷺ ليعرض عليهم ما جرى للمكذبين قبلهم لعلهم يتداركون أنفسهم ، فقد كذب من قبلهم من القرون الماضية رسلكم ، فأناهم العذاب من الجهة التي لا يحتسبون ، ولا يخطر ببالهم أن الشر يأتيهم منها ، فإذا هم الله الذل والصغار كالمسخ والخسف ، والقتل والجلاء ، ونحو ذلك من عذاب الله في الحياة الدنيا ، فافتضحوا عند الله وعند خلقه ، ولعذاب الآخرة أكبر من عذاب الدنيا ، ولو كانوا يعلمون الحقيقة كاملة لآمنوا .

ويجرب تعالى بقوله : قد بينا للناس فيه بضر كل نوع من أنواع الأمثال ، ليتعظوا ، فإن المثل يقرب المعنى إلى الأذهان ، وهو قرآن بلسان عربي مبين لا اعوجاج فيه ولا انحراف ولا لبس ، بل هو بيان ووضوح وبرهان ، وإنما جعله الله تعالى كذلك وأنزله بذلك لعلهم يحذرون ما فيه من الوعيد ، ويعملون بما فيه من الوعد .

قال النسفي عن الآية التالية : « مثل الكافر ومعبوده بعد اشتراك في شركاء بينهم تنازع واختلاف ، وكل واحد منهم يدعى أنه عبده ، فهم يتجادبون ، ويتعاورونه في مهن شتى ، وهو متحير لا يدري أيهم يرضى بخدمته ، وعلى أيهم يعتمد في حاجاته ، ومن يطلب رزقه ، ومن يلتمس رفقه ، فهمه مشاع وقلبه أوزاع ، ومثل المؤمن بعد له سيد واحد فهمه واحد وقلبه مجتمع .

وقال صاحب الظلال : « وهذا المثل يصور حقيقة التوحيد وحقيقة الشرك في جميع الأحوال ، فالقلب المؤمن بحقيقة التوحيد هو القلب الذي يقطع الرحلة على هذه الأرض على هدى ؛ لأن بصره أبداً معلق بنجم واحد على الأفق فلا يلتوى به الطريق ، ولأنه يعرف مصدراً واحداً للحياة والقوة والرزق ، ومصدراً واحداً للنفع والضر ، ومصدراً واحداً للمنع والمنع ، فتستقيم خطاه إلى هذا المصدر الواحد ... ويخدم سيدياً واحداً يعرف ماذا يرضيه فيفعله ، وماذا يغضبه فيتقيه .. ويعقب على هذا المثل الناطق الموحي ، بالحمد لله الذي اختار لعباده الراحة والأمن والطمأنينة والاستقامة والاستقرار ، وهم مع هذا ينحرفون ، وأكثرهم لا يعلمون .

ويعقب على هذا بأن الموت نهاية كل حي ، ولا يتفرد بالبقاء إلا الله ، والموت ليس نهاية المطاف ، فيوم القيامة يختصم العباد فيما كان بينهم من خلاف ، ويجيء رسول الله ﷺ أمام ربه ، ويوقف القوم للخصومة فيما كانوا يقولونه ويأتونه ، ويواجهون به ما أنزل الله إليهم من الهدى .  
ما ترشدنا إليه الآيات تريباً :

١ - المؤمن يسير في الحياة على نور وبصيرة من ربه تعالى .

٢ - القرآن الكريم يتلقاه المؤمنون فيخشعون ويتأثرون ، ويتلقاه الجاحدون والظالمون فلا يتأثرون ولا يستجيبون .

٣ - المؤمن ثابت القدمين على الأرض ، متطلع إلى إله واحد في السماء .

معاني الكلمات :

مثوى : مكان .

بعزيز : بقادر .

أفرايتم : أخبروني .

كاشفات ضره : تدفع عنه السوء .

ممسكات رحمته : تمنع رحمته .

مكانتكم : حالتكم وعداوتكم للدين .

يخزيه : يذله .

مقيم : دائم .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ - أن نعلم جزاء الكاذبين على الله ورسوله ﷺ ، وجزاء المحسنين .

٢ - أن نؤمن بكفاية الله لعباده المؤمنين .

٣ - أن نتعرف على سذاجة عقول الكافرين ، ووعيدهم بالعذاب المقيم .

المحتوى التربوي :

بين السياق من تكون بينهم الخصومة، فيجىء الرسول ﷺ أمام ربه ويوقف القوم للخصومة فيها كانوا يقولونه ويأتونه، ويواجهون به ما أنزل الله إليهم من الهدى، ويكون السؤال للتقرير فليس هنالك من هو أظلم ممن كذب على الله فزعم أن له بنات وأنه له شركاء وكذب بالصدق الذي جاء به رسوله، فلم يصدق بكلمة التوحيد، إنه الكفر وفي جهنم مثوى للكافرين، على سبيل التقرير الذي يرد في صورة سؤال الزيادة والإيضاح والتوكيد.

هذا طرف من الخصومة فأما الطرف الآخر فهو الذي جاء بالصدق من عند الله، وصدق به فبلغه عن عقيدة واقتناع، ويشترك مع رسول الله ﷺ في هذه الصفة كل الرسل قبله، كما يشاركه

فيها كل من دعا إلى هذا الصدق وهو مقتنع به مؤمن بأنه الحق ، ويشارك قلبه لسانه فيما يدعو إليه ، وهؤلاء هم المتقون .

ويتوسع في عرض صفة المتقين هؤلاء وما أعده لهم من جزاء ، فلهم كل ما يختر للنفس المؤمنة من رغائب ، ويقرر أن هذا لهم عند ربهم ، فهو حقهم الذي لا يخيب ولا يضيع لهم الخير والكرامة ، وفضل يزيد على العدل يعاملهم به ، متفضلا محسنا ، فالعدل أن تحسب الحسنات وتحسب السيئات ثم يكون الجزاء ، والفضل هو هذا الذي يتجلى به الله على عباده المتقين هؤلاء أن يكفر عنهم أسوأ أعمالهم ، فلا يبقى لها حساب في ميزانهم ، وأن يجزيهم أجرهم بحساب الأحسن فيما كانوا يعملون ، فتزيد حسناتهم وتعلو وترجح في الميزان ، إنه فضل الله يؤتيه من يشاء كتبه الله على نفسه بوعده فهو واقع يطمئن إليه المتقون المحسنون .

قال الفخر الرازي رحمه الله « إنه جرت العادة أن المبطلين يخوفون المحقين بالتخويفات الكثيرة ، فحسم الله مادة هذه الشبهة بقوله تعالى : ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾ وذكره بلفظ الاستفهام ، والمراد تقرير ذلك في النفوس والأمر كذلك ؛ لأنه ثبت أنه عالم بجميع المعلومات قادر على كل الممكنات ، غنى عن كل الحاجات ، فهو تعالى عالم حاجات العباد ، وقادر على دفعها وإبدالها بالخيرات والراحات ، وهو ليس بخيلا ولا محتاجا حتى يمنعه بخله وحاجته عن إعطاء ذلك المراد ، وإذا ثبت هذا كان الظاهر أنه سبحانه يدفع ويزيل البليات ، ويوصل إليه كل المرادات ، فلماذا قال : ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾ ، ولما ذكر المقدمة رتب عليها النتيجة المطلوبة ... فلما ثبت أن الله كاف عبده كان التخويف بغير الله عبثا وباطلا ... ولما أطنب في شرح الوعيد والوعد ، والترهيب والترغيب ختم الكلام بخاتمة هي الفصل الحق فقال : ﴿ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ۖ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ ﴾ ويعنى هذا الفضل لا ينفع والبيئات إلا إذا خص الله العبد بالهداية والتوفيق ، وقوله : ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ ﴾ تهديد للكفار .

فالله عز وجل منيع الجناب ، لا يضام من استند إلى جنابه ، ولجأ إلى بابه ؟! فإنه العزيز الذي لا أعز منه ، ولا أشد منه انتقاما ممن كفر به وأشرك ، وعاند رسوله ﷺ ، وفي الآية وعد للمؤمنين بأنه ينتقم لهم من الكافرين ، وينصرهم عليهم .

ولئن سألت هؤلاء الضلال الذين يخوفونك بالذين من دونه ، وأقمت عليهم دليلا من أنفسهم ، فقلت من خلق السموات والأرض ؟ لم يشبوا لآلهم من خلقها شيئا وليقولن الله الذى خلقها وحده ، ولما تقرر في الفطر والعقول من استيقان ذلك ، ولوضوح الدليل عليه ، قل تبكيئا لهم : أخبرونى أرايتم ما تعبدون من دون الله ، إن أرادنى الله بأى ضرر كان هل هن كاشفات ضرره بإزالتة بالكلية أو بتخفيفه من حال إلى حال ؟ أو أرادنى برحمة يوصل إلى بها منفعة

في ديني أو دنياي ، هل هن ممسكات رحمته ومانعاتها عنى ؟ سيقولون : لا يكشفون الضر ولا يمسكون الرحمة .

قل لهم بعد ما تبين الدليل القاطع على أنه وحده المعبود ، وأنه الخالق للمخلوقات ، النافع الضار وحده ، وأن غيره عاجز من كل وجه عن الخلق والنفع والضر ، مستجلباً كفايته مستدفعاً مكرمهم وكيدهم : حسبى الله ، عليه يعتمد المعتمدون في جلب مصالحهم ودفع مضارهم ، فالذى بيده - وحده - الكفاية هو حسبى ، سيكفينى كل ما أهمنى وما لا أهم به .

وفي طلاقة اليقين قل : يا قوم اعملوا على حالكم التى أنتم عليها وجهتكم من العداوة التى تمكنتم منها وطريقتكم ، وهذا تهديد ووعيد فإنى عامل على مكاتنى وطريقتى ومنهجى ، فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يجزيه ويذله في الدنيا ، ويحل عليه عذاب دائم مستمر لا يحيد له عنه ، وذلك يوم القيامة ، وفي الآية أمر بالتوعد بكونه مقصوراً عليهم ، غالباً عليهم في الدنيا والآخرة ؛ لأنهم إذا أتاهم الخزى والعذاب ، فذاك عزه وغلبته ، من حيث إن الغلبة تتم له بعز عزيز ، يعز أوليائه ، ويذل أعداءه .

يقول صاحب الظلال: « هذه الآيات الأربع تصور منطق الإيذان الصحيح في بساطته وقوته ، ووضوحه ، وعمته ، كما هو في قلب كل مؤمن برسالة ، وكل قائم بدعوة ، وهى وحدها دستوره الذى يغنيه ويكفيه ، ويكشف له الطريق الواصل الثابت المستقيم ... وهى تصور حقيقة المعركة بين الداعية إلى الحق ، وكل ما فى الأرض من قوى مضادة ، كما تصور الثقة واليقين والطمأنينة فى القلب المؤمن ، بعد وزن هذه القوى بميزانها الصحيح ... فمن ذا يخيفه ، وماذا يخيفه إذا كان الله معه ؟ وإذا كان هو قد اتخذ مقام العبودية وقام بحق هذا المقام ؟ ومن ذا يشك فى كفاية الله لعبده ، وهو القوى القاهر فوق عباده ... فكيف يخاف وإرادة الله هى النافذة ومشيئته هى الغالبة ، وهو الذى يقضى فى العباد قضاءه فى ذوات أنفسهم ، وفى حركات قلوبهم ومشاعرهم ... فما الذى يخشاه داعية إلى الله ؟ ما الذى يخشاه وما الذى يرجوه ؟ وليس أحد بكاشف الضر عنه ؟ وليس أحد بمانع الرحمة عنه ؟ وما الذى يقلقه أو يخيفه أو يصدده عن طريقه ؟ والله صاحب هذه الدعوة التى يحملها الرسل ويتولاها الدعاة .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :

- ١ - الترغيب فى الصدق فى الاعتقادات والأقوال والأعمال .
- ٢ - الله عز وجل يجازى كلا بما يستحق ، وإنه لينتقم ممن يستحق الانتقام .
- ٣ - وجوب التوكل على الله واعتقاد كفايته لأوليائه .

معاني الكلمات :

لايات : لعلامات .

اشمأزت : نفرت وأعرضت .

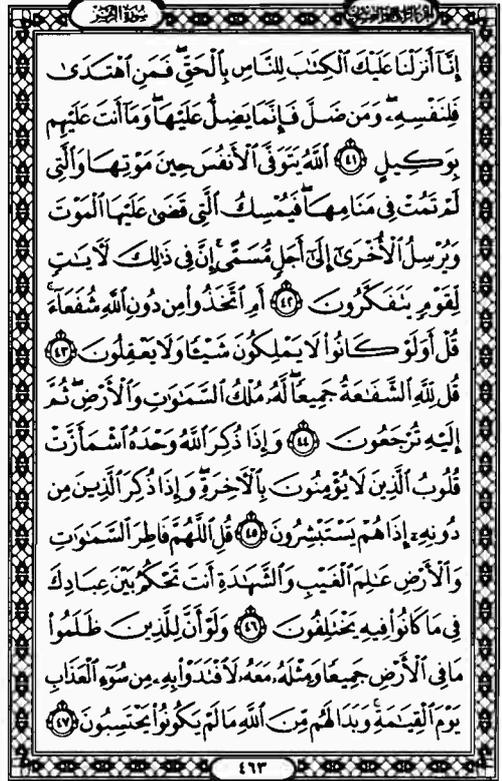
من دونه : من غيره .

فاطر : مبدع وخالق .

الغيب والشهادة : السر والعلانية .

بداهم : ظهر لهم .

يحتسبون : يتوقعون .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ - أن نتعرف على مظاهر قدرة الله تعالى في الموت والحياة .

٢ - أن نعلم سفه المشركين وضلالهم في عصيانهم عند سماع التوحيد ، وفرحهم عند سماع الشرك .

٣ - أن نقف على حال المشركين في يوم القيامة .

المحتوى التربوي :

لما أطنب الله تعالى في فساد مذاهب المشركين تارة بالدلائل والبيانات، وتارة بضرب الأمثال، وتارة بذكر الوعد والوعيد أردفه بكلام يزيل ذلك الخوف العظيم عن قلب الرسول ﷺ، فقال : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ ﴾ الكامل الشريف لنفع الناس ولاهدائهم به ، وجعلنا إنزاله مقرونا بالحق وهو المعجز الذي يدل على أنه من عند الله فمن اهتدى فنفعه يعود إليه ، ومن ضل فضير ضلاله يعود إليه ، وأنت لست مأموراً بأن تحملهم على الإيمان على سبيل القهر بل القبول وعدمه مفوض إليهم ، وذلك لتسليية الرسول في إصرارهم على الكفر .

والوكيل عليهم هو الله، وهم في قبضته في صحوهم ونومهم وفي كل حالة من حالاتهم ، وهو يتصرف بهم كما يشاء، والله يستوفي الأجال للأنفس التي تموت، وهو يتوفاها كذلك في منامها - وإن لم تمت بعد - ولكنها في النوم متوفاة إلى حين ، فالتى حان أجلها يمسكها فلا تستيقظ، والتي لم يحن أجلها بعد يرسلها فتصحو ، إلى أن يحل أجلها المسمى ، فالأنفس في قبضته دائما في صحوها ونومها ، وصاحب هذه القدرة العظيمة هو صاحب الحق المطلق في الطاعة والعبادة ، ولا تنبغى العبادة إلا له ، وفي هذا علامات على قدرة الله وعلمه لقوم يجيلون في ذلك أفكارهم ويعتبرون أنهم هكذا في قبضة الله دائما ، وهو الوكيل عليهم ، ولست عليهم بوكيل ، وإنهم إن يبتدوا فلا أنفسهم وإن يضلوا فعليها ، وإنهم محاسبون إذن وليسوا بمتروكين ، فإذا يرجون إذن للفكاك والخلاص ؟ ! وهو سؤال للتهكم والسخرية من زعمهم أنهم يعبدون تماثيل الملائكة ليقربوهم إلى الله زلفى : ﴿أَوْلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ﴾ ؟ ، يعقبه تقرير جازم بأن الله الشفاعة جميعاً ، فهو الذى يأذن بها لمن يشاء على يد من شاء ، فهل مما يؤهلهم للشفاعة أن يتخذوا من دون الله شركاء ؟ !

والله سبحانه له ملك السموات والأرض ، فليس هنالك خارج على إرادته في هذا الملك ، ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (البقرة: ٢٨) فلا مهرب ولا مفر من الرجوع إليه وحده في نهاية المطاف .

يقول صاحب الظلال : « وفي هذا الموقف الذى يتفرد فيه الله سبحانه بالملك والقهر يعرض كيف هم ينفرون من كلمة التوحيد ، ويهشون لكلمة الشرك ، الذى ينكره كل ما حولهم فى الوجود ، والآية تصف واقعة حال على عهد النبى ﷺ حين كان المشركون يهشون وييشون إذا ذكرت آلهتهم ، وينقبضون وينفرون إذا ذكرت كلمة التوحيد ، ولكنها تصف حالة نفسية تتكرر فى شتى البيئات والأزمان ، فمن الناس من تشمئز قلوبهم وتنقبض نفوسهم كلما دعوا إلى الله وحده إلهها ، وإلى شريعة الله وحدها قانونا ، وإلى منهج الله وحده نظاما ، حتى إذا ذكرت المناهج الأرضية والنظم الأرضية والشرائع الأرضية هشوا وبشوا ورحبوا بالحديث ، وفتحوا صدورهم للأخذ والرد ، هؤلاء بعينهم الذى يصور الله نموذجا منهم فى هذه الآية ، وهم بذاتهم فى كل زمان ومكان ، وهم المسوخو الفطرة ، المنحرفو الطبيعة ، الضالون المضلون ، مهما تنوعت البيئات والأزمنة ، ومهما تنوعت الأجناس والأقوام » .

والجواب على هذا المسخ والانحراف والضلال هو ما لقنه الله لرسوله ﷺ فى مواجهة مثل هذه الحال: قال اللهم يا فاطر السموات والأرض ويا عالم السر والعلانية ، أنت تقضى بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون من الهدى والضلال وتفصل بينهم يوم معادهم ونشورهم وقيامهم من قبورهم .

ثم يحدثنا الله عز وجل عن موقف الكافرين يوم الفصل ، فلو أن هؤلاء الظالمين بشركهم وهو الظلم العظيم لو أن هؤلاء ما فى الأرض جميعا مما يجرصون عليه وينأون عن الإسلام

اعتزازه ، ومثله معه لقدومه فدية مما يرون من سوء العذاب يوم القيامة ، ولا يفصح التعبير عما بدا لهم من الله ولم يكونوا يتوقعونه لا يوضح عنه ، ولكنه هكذا هائل مذهل مخيف فهو الله ، الله الذى يبدو منه لهؤلاء الضعاف ما لا يتوقعون ، هكذا بلا تعريف ولا تحديد ، وعلى المسلم أن يعرف قلبه طريق الخوف الذى يتورع به عن الآثام ظاهراً وباطناً ، ويعجزه عن محارم الله .

يقول ابن القيم فى المدارج عن الخوف : « يعنى الخروج عن سكون الأمن باستحضار ما أخبر الله له من الوعد والوعيد ، قال صاحب المنازل : « وهو على ثلاث درجات . الدرجة الأولى : الخوف من العقوبة ، وهو الخوف الذى يصح به الإيذان ، وهو خوف العامة ، وهو يتولد من تصديق الوعيد وذكر الجنائية ، ومراقبة العامة » ، والخوف مسبوق بالشعور والعلم فمحال خوف الإنسان مما لا شعور له به ، وله متعلقان : أحدهما نفس المكروه لمحدور وقوعه . والثانى : السبب والطريق المفضى إليه ، فعلى قدر شعوره بإفشاء السبب إلى المخوف ، ويقدر المخوف : يكون خوفه ، وما نقص من شعوره بأحد هذين نقص من خوفه بحسبه ، فمن لم يعتقد أن سبب كذا يفضى إلى محذور كذا : لم من ذلك السبب ، ومن اعتقد أنه يفضى إلى مكروه ما ، ولم يعرف قدره لم يخف منه ذلك الخوف ، فإذا عرف قدر المخوف ، وتيقن إفشاء السبب إليه : حصل له الخوف هذا معنى تولده من تصديق الوعيد وذكر الجنائية ومراقبة العامة .

قال : « الدرجة الثانية : خوف المكر فى جريان الأنفاس المستغرقة فى اليقظة ، المشوبة بالحلاوة ، يريد : أن من حصلت له اليقظة بلا غفلة ، واستغرقت أنفاسه فيها ؛ استحل ذلك فإنه لا أحلى من الحضور فى اليقظة ، فإنه ينبغى أن يخاف المكر وأن يسلب هذا الحضور واليقظة والحلاوة ، فكم من مغبوط بحاله انعكس عليه الحال ، ورجع من حسن المعاملة إلى قبيح الأعمال .

قال : « الدرجة الثالثة : درجة الخاصة ، وليس فى مقام أهل الخصوص وحشة الخوف إلا هيبة الجلال وهى أقصى درجة يشار إليها فى غاية الخوف ، ... وأهل الخصوص أهل وصول إلى الله وقرب منه ، فليس خوفهم خوف وحشة ... ، وهذا بخلاف هيبة الجلال ، فإنها متعلقة بذاته تعالى وصفاته ، وكلما كان عبده به أعرف وإليه أقرب ، كانت هيئته وإجلاله فى قلبه أعظم ، وهى أعلى من درجة خوف العامة » .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويّاً :

- ١ - كل من دعا إلى الصدق واتبعه وآمن به ، فله عند الله تعالى أعظم الجزاء .
- ٢ - من فضل الله تعالى على عباده المتقين أنه يكفر عنهم أسوأ أعمالهم ، ويمجزهم أجرهم بأحسن الأعمال وأفضلها .
- ٣ - أعداء المسلمين أعداء عقيدة ينفرون من كلمة التوحيد ، لا يجيبون إلا من اتبع طريقتهم .
- ٤ - الخوف من الله والاستعداد ليوم القيامة طريق العمل .

## معاني الكلمات :

- بدا لهم : ظهر لهم .  
 حاق بهم : أحاط بهم .  
 فتنة : اختبار وامتحان .  
 يبسط : يوسع .  
 يقدر : يضيق .  
 أسرفوا : أكثروا من الذنوب .  
 تقنطوا : تياسوا .  
 جنب الله : حق الله .



## الأهداف الإجرائية والسلوكية :

- ١ - أن نتعرف على تناقض أهل الكفر والجهل والضلال .
- ٢ - أن نعلم سنن التربية الإلهية ، وحكم التدبير لشؤون الخلق .
- ٣ - أن نعرف فضل الله ورحمته على عباده، وبيان الأخذ بالعزائم وترك الرخص لغير ضرورة .

## المحتوى التربوي :

يمضى السياق في بيان أحوال الظالمين المفزعة يوم يرجعون للحكم بينهم يوم القيامة ، فالموقف يزداد سوءاً حين ينكشف لهم قبح ما فعلوا ، وحين يحيط بهم ما كانوا به يستهزئون من الوعيد والندير ، وهم في ذلك الموقف الأليم الرعيب .

وبعد هذا المشهد المعترض لبيان حالهم يوم يرجعون إلى الله الذي به يشركون ، والذي تشمئز قلوبهم حين يذكر وحده ، وتستبشر حينما تذكر آلهتهم المدعاة ، بعد هذا يعود إلى تصوير حالهم العجيب ، فهم ينكرون وحدانية الله ، فأما حين يصيبهم الضر فهم لا يتوجهون إلا له وحده ضارعين منيبين ، حتى إذا تفضل عليهم وأنعم ، راحوا يتبجحون وينكرون .

قال صاحب الظلال : « والآية تصور نموذجاً مكرراً للإنسان ، ما لم تهتد فطرته إلى الحق ، وترجع إلى ربه الواحد ، وتعرف الطريق إليه ، فلا تفضل عنه في السراء والضراء .

إن الضر يسقط عن الفطرة ركام الأهواء ، والشهوات ، ويعربها من العوامل المصطنعة التي تحجب عنها الحق الكامن فيها وفي ضمير هذا الوجود، فعندئذ نرى الله ونعرفه ونتجه إليه وحده، حتى إذا مرت الشدة وجاء الرخاء، نسى هذا الإنسان ما قاله في الضراء ، وانحرفت فطرته بتأثير الأهواء ، وقال عن النعمة والرزق والفضل ﴿ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾ قالها قارون ، وقالها كل مخدوع بعلم أو صفة أو صنعة حيلة يعلل بها ما اتفق له من مال أو سلطان ، غافلا عن مصدر النعمة ، وواهب العلم والقدرة ، ومسبب الأسباب ، ومقدر الأرزاق ، ﴿ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ هي فتنة للاختبار والامتحان ؛ ليتبين إن كان سيسكر أو سيكفر ، وإن كان سيصلح بها أو سيفسد ، وإن كان سيرف الطريق أن ينجح إلى الضلال .

والقرآن - رحمة بالعباد - يكشف لهم عن السر ، وينبههم إلى الخطر ويحذرهم الفتنة ، ويلمس قلوبهم يعرض مصارع الغابرين قبلهم ، وقد قال هذه المقالة وهو قوله : ﴿ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾ الذين من قبلهم كقارون مثلا ، فانتهت بهم إلى السوء والوبال ولم يغن عنهم علمهم ولا ما لهم ولا قوتهم شيئا ، وهؤلاء سيصيبهم ما أصاب الغابرين ، فسنة الله لا تبدل ، والله لا يعجزه خلقه الضعاف المهازيل ، أو لم يعلموا عن طريق ما يشاهدونه أن الله ييسط الرزق لمن يشاء من عباده ، سواء كان صالحا أم طالحا ، فرزقه مشترك بين البرية ، والإيمان والعمل الصالح يخص به خير البرية ، وفي بسط الرزق وقبضه لعلامات لأهل الإيمان ، لعلمهم أن مرجع ذلك عائد إلى الحكمة والرحمة ، وأنه أعلم بحال عبيده ، فقد يضيق عليهم الرزق لطفاً بهم ، لأنه لو بسطه لبغوا في الأرض ، فيكون تعالى مراعيًا في ذلك صلاح دينهم الذي هو مادة سعادتهم وفلاحهم والله أعلم .

ولما صور الله الحال المفزعة التي يكون عليها الظالمون يوم القيامة ، عاد بفتح أبواب رحمته على مصاريعها بالتوبة ، ويطمع في رحمته ومغفرته أهل المعاصي مهما يكونوا قد أسرفوا في المعصية ، ويدعهم إلى الأوبة إليه كائنة ما كانت ، وإنها الدعوة للأوبة .

دعوة العصاة المسرفين الشاردين المبعدين في تيه الضلال ، دعوتهم إلى الأمل والرجاء والثقة بعفو الله ، إن الله رحيم بعباده ، وهو يعلم ضعفهم وعجزهم ، ويعلم العوامل المسلطة عليهم من داخل كياناتهم ، ومن خارجه ، ويعلم أن الشيطان يقعد لهم كل مرصد ، ويأخذ عليهم كل طريق ويعلم أن بناء هذا المخلوق الإنساني بناواه وأن مسكين سرعان ما يسقط إذا أفلت من يده الحبل ويعلم الله - سبحانه - عن هذا المخلوق كل هذا فيمد له في العون ، ويوسع له في الرحمة ، ولا يأخذه بمعصيته حتى يهيج له جميع الوسائل ليصلح خطاه ويقيم خطاه على الصراط ، وبعد أن يلج في المعصية ويسرف في الذنب ، ويحسب أنه قد طرد وانتهى أمره ، ولم يعد ولا يستقبل ، في هذه اللحظة لحظة اليأس والقنوط يسمع نداء الرحمة الندى اللطيف .

قال الفخر الرازي : « اعلم أن هذه الآية تدل على الرحمة من وجوه :

الأول : إنه سمي الذنب بالعبد والعبودية مفسرة بالحاجة والذلة والمسكنة ، واللائق بالرحيم الكريم إفاضة الخير والرحمة على المسكين المحتاج .

الثاني : إنه تعالى أضافهم إلى نفسه بياء الإضافة فقال : ﴿ يَعْْبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا ﴾ وشرف الإضافة إليه يفيد الأمن من العذاب .

الثالث : إنه تعالى قال : ﴿ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ ﴾ ومعناه أن ضرر تلك الذنوب ما عاد إليه بل هو عائد إليهم ...

الرابع : إنه قال : ﴿ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ﴾ ونهاهم عن القنوط فيكون هذا أمراً بالرجاء والكريم إذا أمر بالرجاء فلا يليق به إلا الكرم .

الخامس : إنه تعالى قال أولاً : ﴿ يَعْْبَادِي ﴾ وكان الأليق أن يقول لا تقنطوا من رحمتي لكنه ترك هذا اللفظ وقال : ﴿ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ﴾ لأن قولنا : الله أعظم أسماء الله وأجلها ، فالرحمة المضافة إليه يجب أن تكون أعظم أنواع الرحمة والفضل .... » .

فقل يا أيها الرسول أنت ومن قام مقامك من الدعاة لدين الله ، مخبراً للعباد عن ربهم ألا يأسوا من رحمة الله ، فهي دعوة لجميع العصاة من الكفرة وغيرهم إلى التوبة والإنابة وإخبار بأن الله تبارك وتعالى يغفر الذنوب جميعاً لمن تاب منها ورجع عنها ، وإن كثرت وكانت مثل زبد البحر ، فارجعوا إليه وتوبوا واستسلموا له بالانقياد لشرعه والتسليم لقدره قبل نزول العقاب وحلول النقمة ثم لا تنصرون .

وكانه قيل : ما هي الإنابة والإسلام ، وما جزئياتها وأعمالها ؟ فأجاب تعالى : ﴿ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ مما أمركم من الأعمال الباطنة ؛ كمحبة الله وخشيته ، وخوفه ورجائه ، والنصح لعباده ، ومحبة الخير لهم ، وترك ما يضاد ذلك ، ومن الأعمال الظاهرة ، كالصلاة والزكاة والصيام والحج والصدقة ونحو ذلك .

مما أمر الله به ، وهو أحسن ما أنزل إلينا من ربنا ، فاتبعوه قبل أن يفجأكم العذاب وأنتم غافلون .

حذرهم ألا يستمروا على غفلتهم حتى يأتيهم يوم يندمون فيه ، ولا تنفع الندامة ، لثلاث تقول نفس من الأنفس يا حسرتي على ما قصرت في أمر الله أو في طاعة الله ، وإنه كنت لمن المستهزئين ما ترشدنا إليه الآيات تريبوياً :

١ - الغرور والكبر يورد المهالك ، ويؤذي صاحبه يوم القيامة .

٢ - بيان فضل الله ورحمته على عباده بقبول التوبة والرجاء لله مطلوب .

٣ - استنهاض الهمم في امثال أوامر الله واجتناب نواهي قبل حلول العذاب .

## معانى الكلمات :

- كرة : رجعة إلى الدنيا .  
 مئوى : مأوى ومسكن .  
 بمفازتهم : يفوزهم بالجنة ونعيمها .  
 وكيل : قائم بتدبير كل شىء .  
 مقاليد : مفاتيح أو خزائن .  
 ليحبطن : ليلطلن .  
 مطويات يمينه : مجموعات في يمينه .  
 سبحان الله : تقدس وتنزه .



## الأهداف الإجرائية والسلوكية :

- ١ - أن نعلم فضل التقوى والإحسان وفضل المتقين والمحسنين .
- ٢ - أن نتعرف على أحوال الكافرين والمتكبرين وأحوال أهل التقوى .
- ٣ - أن نوقن أن الله هو المالك المتصرف في كل شىء .

## المحتوى التربوى :

يستمر السياق في بيان ما سوف يكون يوم القيامة حثا للنفوس على أن تشمر عن ساعد الطاعة ، قبل أن يأتي يوم الحساب فتتعلل بقولها : إن الله كتب على الضلال ، ولو كتب على الهدى لاهتديت واتقيت ، وهى علالة لا أصل لها ، فالفرصة ها هى ذى سانحة ، ووسائل الهدى ما تزال حاضرة ، وباب التوبة ها هو ذا مفتوح ، أن تقول حين ترى العذاب لو أن لى رجعة إلى الدنيا ، وهى أمنية لا تنال ، فإذا انتهت هذه الحياة فلا كرة ولا رجوع ، وها أنتم أولاء فى دار العمل ، وهى فرصة واحدة إذا انقضت لا تعود ، وستسألون عنها مع التبكيت والترذيل ، فقد جاءتك أيها العبد النادم على ما كان منه آياتى فى الدار الدنيا ، وقامت حججى عليك

فكذبت بها واستكبرت عن اتباعها ، وكنت من الكافرين بها الجاحدين لها ، وآثرت الضلالة على الهدى ، واشتغلت بضد ما أمرتك به ، فإنما جاء العذر من قبلك فلا عذر لك .

وبعد هذا الرد يعود السياق ليعرض علينا الحال يوم القيامة ؛ لتتدارك أمرنا في الدنيا ونكون من المتقين ، فها هو المصير الأخير ؛ فريق مسود الوجوه من الخزى ، ومن الكمد ، ومن لفح الجحيم ، هو فريق المتكبرين في هذه الأرض ، الذين دعوا إلى الله ، وظلت الدعوة قائمة حتى بعد الإسراف في المعصية ، فلم يلبوا هاتف النجاة ، فهم اليوم في خزي تسود له الوجوه ، وفريق ناج فائز لا يمسسه السوء ولا يخالطه الحزن هو فريق المتقين ؛ الذين عاشوا في حذر من الآخرة ، وفي طمع في رحمة الله ، فهم اليوم يجدون النجاة والفوز والأمن والسلامة : ﴿ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ، ومن شاء بعد هذا فليلب النداء إلى الرحمة الندية الظليلة وراء الباب المفتوح ، ومن شاء فليبق في إسرافه وفي شروره حتى يأخذهم العذاب وهم لا يشعرون . ويعرض السياق حقيقة التوحيد من جانب وحدانية الخالق الذى خلق كل شئ ، المالك المتصرف فى كل شئ ، فتبدو دعوة المشركين للنبي ﷺ إلى مشاركتهم عبادة آلهتهم فى مقابل أن يشاركوه عبادة إلهة ، تبدو هذه الدعوة مستغربة ، والله هو خالق كل شئ ، وهو المتصرف فى ملكوت السموات والأرض بلا شريك ، فأنى يعبد معه غيره ، وله وحده مفاتيح السموات والأرض ، وهو مالك أمرهما ، وهذا يقتضى أن تمتلئ القلوب له إجلالا وإكراما .

أما الذين كفروا بآيات الله الدالة على الحق واليقين والصراط المستقيم ، وأولئك هم الذين خسروا ما به تصلح القلوب من التأله والإخلاص لله ، وما به تصلح به الجوارح من طاعة الله ، وتعوضوا عن ذلك كل مفسد للقلوب والأبدان ، وخسروا جنات النعيم ، وتعروضوا عنها بالعذاب الأليم ، وأنت أيها الرسول قل لهؤلاء الجاهلين الذين دعوك إلى عبادة غير الله ﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴾ هذا الأمر صدر من جهلكم ، وإلا فلو كان لكم علم بأن الله تعالى الكامل من جميع الوجوه ، مسدى جميع النعم ، هو المستحق للعبادة ، دون من كان ناقصا من كل وجه ، لا ينفع ولا يضر لم تأمرونى بذلك .

وذلك لأن الشرك بالله محبط للأعمال ، مفسد للأحوال فهو يحذر منه ، ويبدأ أول ما يبدأ بالأنبياء والمرسلين ، وهم - صلوات الله عليهم - لا يتطرق إلى قلوبهم طائف الشرك أبداً ، ولكن التحذير هنا ينبه سواهم من أقوامهم إلى تفرد ذات الله سبحانه فى مقام العبادة ، وتوحد البشر فى مقام العبودية ، بها فيهم الأنبياء والمرسلون ، ويختم هذا التحذير من الشرك بالأمر بالتوحيد ؛

توحيد العبادة والشكر على الهدى واليقين ، وعلى آلاء الله التي تغمر عباده ، ويعجزون عن إحصائها وهم فيها مغمورون .

ثم يبين السياق أن هؤلاء ما قدروا الله حق قدره ، وهم يشركون به بعض خلقه ، وهم لا يعبدونه حق عبادته ، وهم لا يدركون وحدانيته وعظمته ، وهم لا يستشعرون جلاله وقوته ، ويكشف لهم عن جانب من عظمة الله وقوته وقدرته الطليقة التي لا تتقيد بشكل ولا تحيز في حيز ، ولا تتحدد بحدود ، فالأرضون السبع كلها مع عظمهن وبسطتهن لا يبلغن إلا قبضة واحدة من قبضاته ، والسموات مطويات كطى السجل يمينه من غير تكيف له ولا تشبيه ولا تحريف ، ولا تبديل ولا تغيير . يقول ابن القيم : « إنهم لو عظموا الله وعرفوه حق عظمته وأطاعوه وشكروه ، فطاعته سبحانه واجتناب معاصيه والحياء منه بحسب وقاره في القلب ، ولهذا قال بعض السلف : ليعظم وقار الله في قلب أحدكم أن يذكره عندما يستحي من ذكره ، فيقرن اسمه به كما تقول : قبح الله الكلب والخنزير والتتن ونحو ذلك ، فهذا من وقار الله .

ومن وقاره ألا تعدل به شيئاً من خلقه لا في اللفظ ، بحيث تقول : والله وحياتك ، مالى إلا الله وأنت ، وما شاء الله وشئت ، ولا في الحب والتعظيم والإجلال ، ولا في الطاعة فتطيع المخلوق في أمره ونهيه كما تطيع الله ، بل أعظم كما عليه أكثر الظلمة والفجرة ، ولا في الخوف والرجاء ، ويجعله أهون الناظرين إليه ، ولا يستهين بحقه ، ويقول : هو مبنى على المسامحة ، ولا يجعله على الفضلة ، ويقدم حق المخلوق عليه ، ولا يكون الله ورسوله في حدٍ وناحية ، والناس في ناحية وحد ، فيكون في الحد والشق الذى فيه الناس دون الشق الذى فيه الله ورسوله ، ولا يعطى المخلوق في مخاطبته قلبه وليه ، ويعطى الله في خدمته بدنه ولسانه دون قلبه وروحه ، ولا يجعل مراد نفسه مقدماً على مراد ربه ، فهذا كله من عدم وقار الله في القلب » .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :

- ١ - يوم القيامة لا تنفع حسرة ولا ندامة ، فاعمل في دار العمل .
- ٢ - ليست سعة الأرزاق دليلاً على رضا الله ، ولا ضيق الرزق دليلاً على غضب الله تعالى ، وإنما الأرزاق بيد الله ، يقسمها وفق مشيئته وحكمته .
- ٣ - بيد الله عز وجل كل شيء فلا يصح أن يطلب شيء من غيره أبداً ، أو يعدل به شيء من خلقه .

## معانى الكلمات :

الصور : القرن الذى ينفخ فيه إسرافيل يوم القيامة .

فصعق : فمات .

وأشرقت الأرض : أضاءت أرض المحشر .

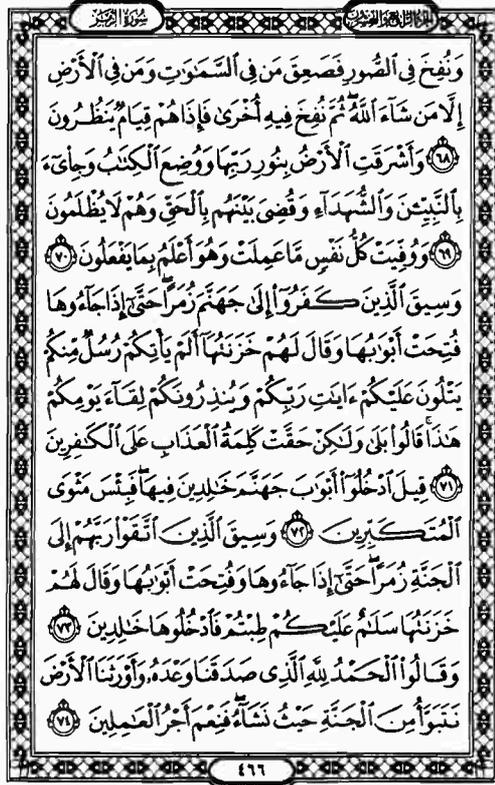
وفيت : أعطيت .

زمرأ : جماعات متتابعة .

وينذرونكم : ويخوفونكم .

مثنوى : مقام وماوى .

تنبوا : نزل وتنصرف فى ملكها .



## الأهداف الإجرائية والسلوكية :

- ١ - أن نتعرف على أرض الموقف وكيف يكون الحساب .
- ٢ - أن نعلم نهاية المتكبرين وسوء مصيرهم .
- ٣ - أن نؤمن بيوم القيامة وما فيه من أهوال وشدائد ، وسوق إلى النار وسوق إلى الجنة .

## المحتوى التربوى :

بعد ما بين السياق أن الله وحده هو الوكيل ، ولأنه هو الخالق ، ولأنه هو المالك ، ولأن الأرضين قبضته يوم القيامة ، والسماوات مطويات بيمينه يوم القيامة ، ومن ثم فإنه وحده المستحق للعبادة ، والمستحق للشكر ، وأن من يشرك به خاسر وحابط عمله ، وكون الله عز وجل هو الوكيل فإنه سيحاسب من رفض هدايته ورفض كتابه ، ومن ثم يعرض لنا السياق مشهداً من مشاهد يوم القيامة ، تذكر فيه كيف سيفعل الله عز وجل بالمتقين الذين اهتموا بكتابه ، والكافرين الذين رفضوا كتابه ، ويبدأ بذكر النسخة الأولى ، وينتهي بانتهاء الموقف ، وسوق أهل النار إلى النار ، وأهل الجنة إلى الجنة ، وتفرد الله ذى الجلال ، وتوجه الوجود لذاته بالتسبيح والتحميد .

يقول صاحب الظلال : « وهو مشهد رائع حافل ، يبدأ متحركاً ، ثم يسير وتبدأ ، حتى تهدأ كل حركة ، وتسكن كل نامة ، ويجيم على ساحة العرض جلال الصمت ورهبة الخشوع بين يدي الله الواحد القهار .

ها هي ذى الصيحة الأولى تنبعث ، فيصعق من يكون باقياً على ظهر الأرض من الأحياء ، ومن في السموات كذلك إلا من شاء الله - ولا نعلم كم يمضي من الوقت حتى تنبعث الصيحة الثانية ، ولا تذكر الصيحة الثالثة هنا ، صيحة الحشر والتجميع ، ولا تصور ضجة الحشر وعجيج الزحام ؛ لأن هذا المشهد يرسم هنا في هدوء ويتحرك في سكون ؛ فالجميع يقبلون أبصارهم في الجهات نظر المبهور إذا فاجأه خطب ، أو ينظرون أمر الله فيهم .

قال ابن كثير: « هذه النفخة هي الثانية ، وهي نفخة الصعق ، وهي التي يموت بها الأحياء من أهل السموات والأرض إلا من شاء الله كما جاء مصرحاً به مفسراً في حديث الصور المشهور ، ثم يقبض أرواح الباقين حتى يكون آخر من يموت ملك الموت ، وينفرد الحى القيوم الذى كان أولاً وهو الباقي آخراً بالديمومة والبقاء ، ويقول : ﴿ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ﴾ (غافر : ١٦) ثلاث مرات ثم يجيب نفسه بنفسه فيقول : ﴿ لِلَّهِ الْوَالِدِ الْقَهَّارِ ﴾ (غافر : ١٦) أنا الذى كنت وحدى وقد قهرت كل شىء ، وحكمت بالفناء على كل شىء ، ثم يجيء بجيى أول من يجيى إسرافيل ، ويأمره أن ينفخ في الصور أخرى ، وهي النفخة الثالثة : نفخة البعث ، قال الله عز وجل : ﴿ ثُمَّ نُفِخُ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴾ أى : أحياء بعد ما كانوا عظاماً ورفاتا صاروا أحياء ينظرون إلى أهوال يوم القيامة .

ويذكر السياق أرض الساحة التى يتم فيها الاستعراض ، ونور ربها الذى لا نور غيره فى هذا المقام ، ﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ ﴾ الحافظ لأعمال العباد ، ﴿ وَجَائِءٌ بِالنَّبِيِّنَ وَالشُّهَدَاءِ ﴾ ليقولوا كلمة الحق التى يعلمون ، وطوى كل خصام وجدال - فى هذا المشهد - تنسيقاً لجوه مع الجلال والخشوع الذى يسود الموقف العام ، فلا حاجة إلى كلمة تقال ، ولا إلى صوت واحد يرتفع ، ومن ثم تجمل وتطوى عملية الحساب والسؤال والجواب التى تعرض فى مشاهد أخرى ؛ لأن المقام هنا مقام روعة وجلال .

قال الإمام فخر الدين الرازى : « إنه تعالى ذكر فى هذه الآية من أحوال ذلك اليوم أشياء :

أولها : قوله : ﴿ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾ : ... وثانيها : قوله : ﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ ﴾ وفى المراد بالكتاب وجوه الأول : إنه اللوح المحفوظ الذى يحصل فيه شرح أحوال عالم الدنيا إلى وقت قيام القيامة ، الثانى : المراد كتب الأعمال وثالثها : قوله : ﴿ وَجَائِءٌ بِالنَّبِيِّنَ ﴾ والمراد أن يكونوا شهداء على الناس ... ورابعها : قوله : ﴿ وَالشُّهَدَاءِ ﴾ والمراد ما قاله فى ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ (البقرة : ١٤٣) أو أراد بالشهداء المؤمنين :

ولما بين الله تعالى أنه يحضر في محفل القيامة جميع ما يحتاج إليه في فصل الحكومات وقطع الخصومات ، بين تعالى أنه يوصل إلى كل أحد حقه ، وعبر تعالى عن هذا المعنى بأربع عبارات :  
 أولها : قوله تعالى : ﴿ وَوُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ ﴾ ، وثانيها : قوله ﴿ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ . وثالثها : قوله : ﴿ وَوُضِيَ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ ﴾ أى وفيت كل نفس جزاء ما عملت . ورابعها : قوله : ﴿ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ ويعنى أنه تعالى إذا لم يكن عالماً بكيفيات أحوالهم فلعله لا يقضى بالحق لأجل عدم العلم ، أما إذا كان عالماً بمقادير أفعالهم وبكيفياتها امتنع دخول الخطأ في ذلك الحكم ، فثبت أنه تعالى عبر عن هذا المقصود بهذه العبارات المختلفة ، والمقصود المبالغة في تقرير أن كل مكلف فإنه يصل إلى حقه .»

ثم يخبر تعالى عن حال الأشقياء الكفار كيف يساقون إلى النار ، وإنما يساقون سوقاً عنيفاً بزجر وتهديد ووعيد، هذا وهم عطاش ظمأ ، صم وبكم وعمى ، ومنهم من يمشى على وجهه ، وبمجرد وصولهم إليها فتحت أبوابها سريعاً ، لتعجل لهم العقوبة ، وقال لهم خزنتها من الزبانية الذين هم غلاظ الأخلاق ، شداد القوى ، على وجه التقريع والتوبيخ والتنكيل : ألم يأتيكم رسل من جنسكم تتمكنون من مخاطبتهم والأخذ عنهم يتلون عليكم آيات ربكم ووحىه ويقيمون عليكم الحجج والبراهين على صحة ما دعوكم إليه ، ويجذرونكم من شر هذا اليوم ، فيقول الكفار لهم: بلى قد جاؤونا وأنذرونا وأقاموا علينا الحجج والبراهين، ولكن كذبناهم وخالفناهم، لما سيق إلينا من الشقوة التى كنا نستحقها حيث عدلنا عن الحق إلى الباطل ، وكل من رآهم وعلم حالهم يشهد عليهم بأنهم مستحقون للعذاب ، ولهذا لم يسند هذا القول إلى قائل معين ، بل أطلقه ليدل على أن الكون شاهد عليهم بأنهم مستحقون ما هم فيه بما حكم العدل الخبير عليهم به ، ولهذا قيل : ادخلوا أبواب جهنم ما كثين فيها لا خروج لكم منها ، ولا زول لكم عنها فبئس المصير بسبب تكبركم في الدنيا وإبائكم عن اتباع الحق ، فهو الذى صيركم إلى ما أنتم فيه فبئس الحال المال .

ثم يخبر عن حال السعداء المؤمنين حين يساقون على النجائب وفدًا إلى الجنة حتى إذا وصلوا إلى أبواب الجنة فتحت لهم إكراماً وتعظيماً ، وتلقتهم الملائكة الخزنة بالبشارة والسلام والثناء وكان ذلك بسبب تطهركم وكنتم طيبين وجئتم طيبين فما يكون فيها إلا الطيب وما يدخلها إلا الطيبون وهو الخلود في ذلك النعيم ، ويقول المؤمنون وإذا عاينوا في الجنة ذلك الثواب الوافر . الحمد لله الذى وعدنا الجنة فوفى لنا ، وأورثنا أرض الجنة نزل منها أى مكان شئنا وتتناول منها أى نعيم أردنا ، فنعم أجر المجتهدين بطاعة ربهم .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :

١ - على المسلم أن يحاسب نفسه قبل أن يحاسبه ربه في الآخرة .

٢ - التنديد بالاستكبار عن عبادة الله وعلى عباده تعالى .

٣ - الآخرة حساب بلا عمل ، وخلود في الجنة أو النار ، والمؤمن خير من يعمل لآخرته .

## معاني الكلمات :

حافين : محدين محيطين .

غافر الذنب : ساتر الذنب .

ذى الطول : ذى الغنى والإنعام والتفضل .

بغررنك : يخذعك .

تقلبهم : تنقلهم .

ليدحضوا : ليطلوا .

حققت : وجبت .

وقهم : واحفظهم .



## الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ - أن نعلم أن الكون كله يتجه إلى ربه بالحمد في خشوع واستسلام .

٢ - أن نتعرف على مصارع الغابرين .

٣ - أن نعلم حقيقة المعركة بين الإيثار والكفر .

## المحتوى التربوي :

لما ذكر تعالى حكمه في أهل الجنة والنار ، وأنه نزل كلا في المحل الذي يليق به ويصلح له ، وهو العادل في ذلك الذي لا يجوز أخبر عن ملائكة أنهم محققون من حول عرشه المجيد ، يسبحون بحمد ربهم ، ويمجدونه ويعظمونه ويقدمونه وينزهونه عن النقائص والجور ، وقد فصل القضية ، وقضى الأمر ، وحكم بالعدل بين الخلائق ؛ ونطق الكون أجمعه ناطقه وبهيمه - لله رب العالمين ، بالحمد في حكمه وعدله ، ولهذا لم يسند القول إلى قائل بل أطلقه ، فدل على أن جميع المخلوقات شهدت له بالحمد .